

السنة النبوية أزمة فهم وتنزيل لا أزمة حجية

أ.د/ طه جابر العلواني

1) ما من دليل من أدلة الإسلام اختلف الناس حوله وفيه مثل السنة النبوية المطهرة، فهناك من يرى أنها وحي مثلها مثل القرآن الكريم، غير أنها وردت بألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا تشارك القرآن في تحديه، ولا في إعجازه.

2) ومنها من رأى أنها حقيقة قرآنية في أصولها، فما من سنة صحيحة ثابتة إلا ولها في القرآن المجيد أصل تقوم عليه وتستند إليه، وتقوم بتحويل آياته إلى واقع عملي تطبيقي، ﴿.. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب: 38)، فبذلك ترفع السنة الحرج وتنزيل الاختلاف، فسنة النبي هي ما فرض الله له وعليه، لا حرج فيها، ولا اضطراب ولا اختلاف عليها، فالقرآن يصدق عليها ويهيمن، ويؤسس لها ويهدي لأحسن السبل في العمل بها، وذلك يجعلها تفعيلاً للنص القرآني في شكل أفعال وسلوكيات تتمثل في تطبيق النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- للنص القرآني.

3) وبعضهم فصل ما بين الكتاب والسنة، ونظر إلى السنة على أنها دليل مستقل ومصدر منفصل، يستقل بالتشريع، وله مداره الخاص.

4) ولقد ذكرت تعاريف للسنة -في عصر التدوين وفيما تلاه- بأنها ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

5) وفرق كبير جدا أن ننظر إلى السنة على أنها صورة فعلية وسلوك تطبيقي للقرآن الكريم وبين من يرى أنها تراث من أحاديث وآثار وأخبار رويت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحملوا الآية الواردة في كتاب الله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: 3-4) على ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- غير القرآن، ليلحقه بالقرآن ذاته.

6) ينسب الباحثون إلى السُّنة مسؤولية تفرق كلمة المسلمين، وانقسامهم إلى فرق، وتبني كل فرقة منهم قواعد تخصها، في الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف ورواة ورجالا تثق بهم وترفض رواية ورجال الطوائف والفرق الأخرى وما يروونه، وهنا لم تعد السنة وسيلة لتوحيد الأمة، بل جزءاً من عوامل تفرقتها وإيجاد حالات الصراع بينها وبروز كثير من الظواهر السلبية من تكفير واستحلال لدماء بعضهم لبعض، وما إلى ذلك.

7) وقد وضع المحدثون من أهل السنة وغيرهم علومنا أطلقوا عليها علوم الحديث، تتناول ما يتعلق بالحديث دراية ورواية، فتبحث في أسانيد الأحاديث، لتبين وفقاً لقواعد الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف التي اجتهدت في وضعها من تقبل روايته ومن لا تقبل روايته من نقلة الأخبار والآثار والأحاديث الذين يقدر عددهم بما يقرب من نص مليون إنسان، كما وضعوا قواعد لنقد المتن، وتحليل النصوص للحكم على ما روي باللفظ وهو قليل جداً وما روي بالمعنى وهو الأكثر وما فيه شذوذ وما لا شذوذ فيه، وما فيه علة قاذحة وما ليس فيه ذلك، فيدرسه طلبة ذلك العلم أو تلك العلوم ليدركوا أن مذاهبهم الفقهية وعقائدهم الكلامية قد تأسست وبنيت وتأسل بناؤها على تلك الأخبار أسانيداً ومتونها، وصار لكل فرقة رجالها المتخصصون، وأساليبها في الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف ومصطلحاتها، ومفاهيمها، وبقية الأمور تسير على ذلك حتى يومنا هذا.

8) فيما يتعلق بالمحيط السني وضع علماء الحديث عبر القرون الأربعة قواعد للجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف اعتبرت، أو عدها أصحابها بأنها قواعد منضبطة غاية الانضباط، وأنه إذا اتبعت هذه القواعد والضوابط وأخذ الناس بها فذلك سوف يؤدي بهم إلى الوصول إلى السنن الصحيحة الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسانيداً ومتونها؛ ولذلك عبر بعضهم عن هذه القواعد بأنها قواعد عبقرية، في نشأتها وإنشائها، لكن تطبيقاتها كارثية، والكتب التي كتبت في الرواية والدراية قد تتجاوز الحصر، لكنها ما زادت الأمة إلا اختلافاً وتفرقاً وتمزقاً حول معاني السُّنة ودلالاتها وطرائق التعامل معها، وعلاقتها بالقرآن المجيد، وبأمر أخرى عدها الفقهاء أدلة ومصادر للأحكام، من هذه القواعد أنهم اشتروا

لصحة الخبر المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرويه الثقة عن مثله إلى منتهى السند بلا شذوذ، واشتروا في الثقة العدالة والضبط، واشتروا في المدلس التصريح بالسماع، وجعلوا الشذوذ أن يخالف الثقة الثقات أو من هو أوثق منه، أو أن يخالف الخبر خبراً أوثق منه.

9) أما تطبيقاتهم لتلك القواعد الذهبية فكانت تطبيقات كارثية في أكثر من تسعة أعشارها، بل في أكثر من خمسة وتسعين بالمائة منها، فقد صححت تطبيقاتهم أباطيل نسبوها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذبا، ووضعوها على لسانه الشريف زورا، حتى جعلوه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: القرآن باطل؛ إذ جعلوه بهذه الأباطيل يلغي أحكامه، ويخصص عموماته، ويقيد مطلقاته، ويفصل جمالاته ويؤول محكماته ومتشابهاته.

10) فصرنا نقرأ في القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ..﴾ (البقرة: 256) ، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 22) ، ﴿.. وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ..﴾ (ق: 45) ، .. أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (يونس: 99) ، ﴿.. فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ..﴾ ، ثم نلتفت عن كل ذلك وننبذه وراء ظهرنا كأنه لا قيمة له ولا اعتبار، مقلدين مقدسين لأشخاص عبيد غير معصومين توهموا أنه كله مُلغى بكذب خدعوا به غفلة وألقوه على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زورا، فجعلوه يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله" "من بدل دينه فاقتلوه" لا يقتل مسلم بغير مسلم".

11) وصرنا نقرأ في القرآن الكريم قصة الملكة بلقيس ملكة سبأ الوالية الولاية العامة على قومها وثناؤه على أدب وصفها لخطاب نبي إليها وحكمة رأيها في شأن معالجته وبراعة سياستها لشؤون قومها ومملكته، مع سكوته التام في معرض البيان عن استنكار ولايتها العامة استنكارا لأنوثتها، وعدم الاستنكار سكوت، والسكوت في معرض البيان بيان إذ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ

قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿النمل: 30-35﴾ ثم نلتفت عن كل ذلك ونبذه وراء ظهورنا كأنه لا قيمة له ولا اعتبار مقلدين مقدسين لأشخاص عبيد غير معصومين توهموا أنه كله محبوب بكذب خدعوا به غفلة وألقوه على لسان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- زورا فجعلوه يقول: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) (النساء ناقصات عقل ودين) (إني رأيتكن أكثر أهل النار، تكثرن اللعن وتكفرن العشير)

12) وصرنا نقرأ في القرآن الكريم ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فحِئُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: 86)، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: 83) ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: 46)، ثم نلتفت عن كل ذلك ونبذه وراء ظهورنا كأنه لا قيمة له ولا اعتبار، مقلدين مقدسين لأشخاص عبيد غير معصومين توهموا أنه كله مقيد بكذب خدعوا به غفلة وألقوه على لسان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- زورا فجعلوه يقول: (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) وهلم جرا !.

13) إن جمهور المحدثين لا يرفعون جهالة المجهول إذا روى عنه اثنان ولم يأت بما ينكر عليه بل يظل عندهم مجهولا كما هو بينما يرفعون جهالته ويجعلونه ثقة إذا روى عنه ثلاثة، قرر ذلك الذهبي في ميزانه فقال في ترجمة حفص بن غنيم: قال (ابن القطان لا يعرف له حال ولا يعرف) قلت إن ابن القطان يتكلم في كل من لم يقل فيه إمام عاصر ذاك الرجل أو أخذ عن عاصره ما يدل على عدالته وهذا شيء كثير ففي الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون ما ضعفهم أحد ولا هم بمجاهيل وقال في ترجمة مالك بن الحويرث الزبدي: الجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ولم يأت بما ينكر عليه أن حديثه صحيح انتهى ما قرره الذهبي، والسؤال هو: فبأي حق أو دليل قرآني أو نبوي أو عقلي ؟

وما هو الفرق هنا بين الاثنين والثلاثة الذي جعل رواية الثلاثة ترفع جهالة المجهول وتجعله ثقة من دون رواية الاثنين؟

إن جيلا بأكمله أدركهم الإمام شعبة بن الحجاج بالعراق كانوا بشهادته كلهم مدلسين . إلا رجلين اثنين فقط . قد تغافل عن تدليس أكثرهم أكثر المحدثين بغير حق، وشعبة هذا لمن لا يعلم إمام ليحيى بن سعيد القطان، ويحيى هذا لمن لا يعلم إمام ليحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني، ويحيى وأحمد وعلي هؤلاء لمن لا يعلم أئمة للبخاري الذي هو إمام لنا.

ز . إن مئات آلاف مرويات أمهات كتب الحديث بما فيها مرويات البخاري ومسلم، أكثر من خمسة وتسعين في المائة منها كل إسناد منها يشمل ما لا يقل عن راو واحد مجهول لم يوثق إلا توثيقا زائفا ممن ولدوا بعد وفاته ولم يعرفوه، توثيقا عاما كاملا شاملا كليا مطلقا بلا دليل سوى سير خاص ناقص محصور جزئي مقيد، توثيقا شاملا بسير محصور في بعض مرويات له نقدوها وحدها من دون سائر مروياته فوجدوها صحيحة، ثم بناء فقط على نقدهم لها وتصحيحهم لها دون سائر مروياته شهدوا له بأنه ثقة، رغم أنهم ولدوا بعد وفاته فلم يلقوه ولم يعرفوه، ورغم أنهم لم يسبروا كل مروياته بل غابت عنهم روايات أخرى له قد تكون باطلة، ولو سبروها ونقدوها لأبطلوها ولشهدوا عليه بناء على إبطالهم لها بأنه غير ثقة، ولاستغفروا الله من شهادتهم له بأنه ثقة.

1 . نعم خمسة وتسعون بالمائة من مئات آلاف مرويات أمهات كتب الحديث بما فيها مرويات البخاري ومسلم فضلا عن رواة آخرين في أكثرها مطعون في عدالتهم أو حفظهم أو سماعتهم.

2 . لا أعني بطلان متن كل سند فيه راو مجهول لم يوثق إلا بالسبر ممن لم يدركوه، ولا أعني رد كل خبر زائد على ما في القرآن إذا تفرد بروايته مجهول لم يوثق إلا بالسبر ممن لم يدركوه،

كما لا أعني أن بطلان أي سند يستلزم بطلان متنه؛ كلا بل قد يصح المتن رغم بطلان السند.

ح . أليسوا حين يشترطون لصحة الخبر ألا يعنعن المدلس ثم يقبلون عنعنات بعض المدلسين في كل الكتب وعنعنات كل المدلسين في بعض الكتب أليسوا بذلك ينقضون قاعدتهم الذهبية ؟ ! أو ليسوا حين يصلهم من مجهول لم يرؤه ولم يدركوه خبر مرفوع نصه (اتقوا الله) فيوثقون هذا المجهول توثيقا مطلقا بناء على نقدهم لخبره هذا وتصحيحهم له وحده دون سائر أخباره، ثم يجدون في اليوم التالي لهذا المجهول خبرا مرفوعا آخر نصه (اكفروا بالله) فيصححونه تلقائيا دون نقده اغترارا بتوثيقهم السابق لقائله أليسوا بذلك يقتفون ما ليس لهم به علم ويهدرون القرآن القائل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء:36) ؟ ! . لم يقل راو نصا (اتقوا الله) و (اكفروا بالله) ولكنه تشبيه وتمثيل وتقريب وتوضيح لا تنصيص وتعديد.

ط . إن كل رواية في سندها راو لم يوثق إلا بالسبر حقا نقدها فقط دون سندها، وخاطئ كل من صححها بناء على نقد سندها فقط. خاطئ كل من صحح بنقد السند فقط رواية في سندها راو لم يوثق إلا بالسبر فقط، خاطئ لأنه صحح بنقد السند فقط ما حقه نقد متنه فقط.

ي . إن بعض من لا يفقهون يخشون من إحقاق الحق الذي يعيد إلى القرآن اعتباره ومن إبطال أسانيد باطلة وتوثيقات زائفة سرقت من القرآن اختصاصه وسلبت منه بالباطل سلطانه لصالح كذب هو سُمُّ دُسِّ في عسل هو ريقٌ طاهرٌ على لسان صادقٍ لنبيٍّ أمينٍ هو محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-. إنهم يخشون من إبطال أسانيد وتوثيقات باطلة لأنهم يتوهمون أن إبطالها ذريعة إلى إبطال سائر الأسانيد بل وإلى إبطال نسبة القرآن نفسه إلى النبي نفسه، ولو ردوه إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولعلموهم أن ما يبطل الباطل لا يبطل الحق معه بل يحقه وحده، وأن برهان إلهية القرآن ليس صحة نسبته إلى محمد ولا أسانيد المتواترة إلى محمد ولا شهادة محمد له بأنه من عند الله، فشهادة محمد له محض

دعوى لا برهان، وأما البرهان الشافي والدليل الكافي على أن القرآن من عند الله فصفاته الذاتية الوافرة وسماته الربانية الظاهرة ومكوناته الإلهية الباهرة وتحدياته الإعجازية القاهرة للإنس والجن ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (الإسراء: 88) ، حتى لو أن الله بدلا من إنزاله بواسطة جبريل على قلب محمد أرسله إلينا مع كذاب أشر أو شيطان رجيم لعرفنا أنه من عند الله رغم سوء الوساطة، فالقرآن برهان محمد وليس محمد برهان القرآن. لقد صرنا -إلا من رحم الله- لا ندرك براهين القرآن الذاتية على أنه من عند الله؛ بسبب أننا نتدبره على هدي أباطيل نسبها آباؤنا إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كذبا وألوه بها جهلا، فطمسوا من معانيه الهادية للعقول ما طمسوا، وكدروا من شموسه المضيئة للأبصار ما كدروا، فصرنا -إلا من رحم الله- عاجزين عن دعوة الآخرين إليه، بل وعن دفع عيهم فيه واستهزائهم به وتندرهم عليه.

ك . ليس إخواننا اليهود والنصارى وحدهم هم من حرف آباؤهم حين حرفوا التوراة والإنجيل؛ بل نحن المسلمين أيضا قد حرف آباؤنا إذ حرفوا القرآن الكريم، ولكن كما أنهم يتعصبون لآبائهم ويعتبرونهم سلفا صالحا لهم يجب عليهم تقليدُهم تقليدا أعمى حذو القذة بالقذة ولا يعترفون بأنهم حرفوا، كذلك نحن أيضا نتعصب لآبائنا ونعتبرهم سلفا صالحا لنا يجب علينا تقليدُهم تقليدا أعمى حذو القذة بالقذة ولا نعتزف بأنهم قد حرفوا، ولولا أن القرآن هو الذي أخبرنا أنهم حرفوا لما عرفنا أنهم حرفوا، ولولا أنه لا وحي بعد القرآن لعرف الناس بوحى جديد أننا نحن المسلمين أيضا قد حرفنا.

أجلُ لقد حرف آباء إخواننا هؤلاء وحرف آباؤنا أيضا؛ ولكن آباءهم حرفوا الألفاظ، أما آباؤنا فحرفوا المعاني.

الفرق بين آبائنا وآبائهم أن آباءهم حرفوا المعاني وأخفوا الألفاظ حتى صار مستحيلا على رائم الحقيقة بلوغها، ومن أجل هذا أحتاج العالم من جديد إلى رسول جديد بوحى جديد، فبعث الله محمدا، لتبقى رحمته على العالمين سابغة وحجته على ضمائرهم قائمة، ليهلك من

هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، أما آباؤنا فحرفوا المعاني فقط، ولكن بحفظ الله بقيت الألفاظ محفوظة كما هي، وبقي العقل الإنساني الرباني وبقي اللسان العربي البياني بقيا حيَّين سالمين، وبقيا بالتالي قادرين على استرداد هذه المعاني الأصلية الحقيقية الضائعة من جديد، دون حاجة إلى رسول جديد بوحى جديد، فهل نحن فاعلون معا جميعا يا علماء المسلمين ؟ وهل أنتم مشاركون لنا يا أيها الإخوة المسلمون المثقفون ؟ الليبراليون والعلمانيون ؟

ل . بين إسلام المسلمين اليوم وإسلام النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فرق ضئيل القدر لكنه خطير الأثر، إذ مساحته صغيرة جدا كمساحة ثقب السفينة قياسا إلى مساحة السفينة نفسها لكن أثره مدمر علينا كأثر الثقب في السفينة على السفينة.

أما أن الفرق ضئيل فلأن ملوك بني أمية والعباس لم تكن لهم مصلحة في إفساد صلاة الناس وزكاتهم وحجهم وصومهم ومثل ذلك وهو كثير كثير، وإنما انحصر هواهم فيما يخدم أطماعهم السياسية وهو قليل ضئيل، وأما أنه خطير رغم ضآلته فلأن أطماعهم السياسية حملتهم على الاستبداد وانتهاك الحقوق الإنسانية وشرعنة هذه الانتهاكات باختلاق نصوص وضعوها على لسان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- زورا فأفسدوا بها منظومة النصوص القرآنية في الحرية والعدالة والسماحة والكرامة الإنسانية.

م . إنني لوجه الله ولأجل مصر ولأجل الناس أجمعين مستعد للمذاكرة والمفاكرة والمحاورة والمناظرة مع إخوتي علماء الحديث وغيرهم فيما أزعمه لأجل المناصحة، ولا يجوز لهم السكوت على هذا الكلام الخطير والإعراض عن دعوتي هذه لهم إلى المناصحة. فإما أن يبينوا لي خطئي فأتوب منه وأقبل شاكرا أيديهم وأرجلهم وبين أعينهم، وإما أن يتبين لهم أنني مصيب فنهج معا جميعا إلى نجدة مصرنا وسائر البلاد من فتن طائفية محدقة بها وتحرير إسلامنا العظيم من إसार أباطيل، أعاققت الناس ولا تزال منذ قرون، عن الدخول فيه أفواجا. إن أعرضوا عني سيسألون بين يدي الله يوم القيامة سواء أكنت مخطئا أم مصيبا. فإن كنت مخطئا فسوف يسألون لِمَ أعرضوا عن نصحي وهدايي وأنا طالب نصيحة وأنشد الهداية ؟ !

أما إن كنت مصيبا وأعرضوا فحسابهم بين يدي الله يوم القيامة عسير، وأخشى عليهم يومئذ أن يقول قائلهم: يا ليتني كنت ترابا.

1 . إن القرآن يحترم حرية الاعتقاد، ومن ذلك قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 22: 2) ﴿.. وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ..﴾ (ق: 45) ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99) ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29).

2 . إن القرآن ينهى عن التعرض بسوء للكافر المسلم، ومن ذلك قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (المتحنة: 8) وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (التوبة: 4) والمدة قد تكون مؤبدة كما في ﴿وَنُمِّدْ لَهُ مِّنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (مريم: 79) أي للكافر أي مدا مخلدا أبدا لا نهاية له.

3 . إن القرآن ينهى عن التعرض بسوء للمرتد المسلم، ومن ذلك قوله: ﴿فَإِنِ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: 90) وقوله: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً﴾ (التوبة: 95) فسياق كل من هاتين الآيتين حديث في منافقين كفروا بعد إيمانهم.

ص . إن المساواة وحرية الاعتقاد لا يتناقض معهما أي نص قرآني، ولا أي قول أو فعل للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أو للخلفاء الراشدين.

1 . فليس في القرآن آية سيف نسخت نصوص القرآن في السماحة والحرية الدينية، ولا آية جزية مفروضة على المسلمين من أهل الكتاب بسبب رفضهم اعتناق الإسلام، وما يدعى من ذلك كذب على القرآن أو فهم خاطئ من سلف زعموه وخلف قلدوهم فيه تقليدا أعمى.

2 . فلو تدبر عارف بالعربية غير مقلد غيره ما سماه البعض آية السيف ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة:5) ولحظ سياقها التكاملي السابق منه واللاحق، القريب منه والبعيد، الحالي منه والمقالي، لاكتشف أنها كذبة كبرى دعوى أنه ناسخ لسائر النصوص القرآنية في حرية التدين، ولاكتشف أن المقصود بآية السيف هذه إنما هم الناقضون عهدهم المحاربون للمسلمين، بسبب النقض والمخاربة لا بسبب الشرك.

3 . ولو تدبر عارف بالعربية غير مقلد غيره آية الجزية ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:29) ولحظ سياقها التكاملي، السابق منه واللاحق القريب منه والبعيد، الحالي منه والمقالي، لاكتشف أنها كذبة كبرى دعوى أنها عقوبة لليهود والنصارى بسبب رفضهم اعتناق الإسلام، ولاكتشف أن المقصود بآية الجزية هذه إنما هم الناقضون عهدهم المحاربون للمسلمين بسبب النقض والمخاربة لا بسبب رفض اعتناق دين الإسلام.

4 . ولو تدبر عارف بأصول علم الحديث النبوي الشريف رواية ودراية سندا ومتنا جرحا وتعديلا مصطلحا وشروط صحة غير مقلد غيره لاكتشف أن نبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- لم يقل (من بدل دينه فاقتلوه) ولم يقل (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ولم يقل (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) ولم يقل (كل مصر مصره المسلمون لا يبنى فيه بيعة ولا كنيسة ولا يضرب فيه بناقوس ولا يباع فيه لحم خنزير) ولم يقل (لا يقتل مسلم بغير مسلم) ولم يقل (إن النساء ناقصات عقل ودين) ولم يقل (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) إلى آخر تلك النصوص التي تنتهك المساواة وحرية الاعتقاد وتفرق بين المواطنين بسبب الدين، وأنه لم يأذن لكل من هب ودب أن يغير بيده كل منكر أو أن يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر، وأن أيا من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لم يقل قولا ولم يفعل فعلا يتناقض مع مبدأ المساواة وحرية الاعتقاد، وأن عمر بريء من الوثيقة المفتراة عليه والمسماة زورا بـ "العهدة" أو "الوثيقة

العمرية"، وإنما هم بنو أمية والعباس صاغوا أباطيل تخدم أهواءهم العنصرية وجعلوها إسلاما وحملوا الناس عليها، ثم ورثها من بعدهم فخوروا عليها صما وعميانا حتى اليوم.

5. يا علماء الإسلام زهوا شريعة الإسلام مما دس فيها، فإنكم إن فعلتم فلن يحتكم مسلم إلا إليها، ولن يفضل منصف غير مسلم أي قانون عليها؛ لأنها الباقي المصون دون ما سواه من عند الخالق الأعلم بما يصلح المخلوقين. زهوها بحسن الفهم عن الله، وحسن الثبوت مما ينسب إلى رسول الله، وبالتحرر من التقليد الأعمى لمن سبق.

الخلاصة: أن الإباحة أصل، ولا يجوز تحريم مباح بناء على إسناد خبر فيه راو لم يوثقه معاصران له ولم يوثقه إلا من ولدوا بعد وفاته؛ لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ (البقرة: 282) ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: 36) أما الخبر في غير الحلال والحرام يرويه فذلك لم يوثق إلا بالسبر فأمره على السعة قبولا له أو توقفا فيه؛ لقوله (تعالى): ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (البقرة: 282) فمن قبله فلأنه رضي شهداءه وهو حق كفه القرآن، ومن توقف فيه فلأنه لم يرضهم وهو حق كفه القرآن أيضا.